أصحاب النبي ﷺ في دينهم، أذن لهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، فانطلقت «ريطة» وزوجها في طَليعة المهاجرين. وعلى أرض الحبشة، ولدت له «موسى» وأخواته «عائشة» و «زينب» و «فاطمة»، وعاشوا في سعادة غامرة.

وكانت «ريطة» حسنة التبعل لزوجها، وكان «الحارث» زوجها يحسن معاملتها، ولما عاد المهاجرون من الحبشة إلى مكة، استراحت أسرة «الحارث» قليلاً، ثم تابعوا سيرهم مهاجرين إلى المدينة، وفي الطريق أحس بعضهم بالعطش، فشربت «ريطة» وبنوها إلا «فاطمة» وأبوها، فهلكت أمها وإخوتها من تلك الشربة.

رحمهم الله تعالى.

السيدة زائدة رضي الله عنها

اسمها «زائدة»، وقيل: «زيدة» مولاة «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه. حدث الأوزاعي، عن واصل، عن أم نجيح، قال: قالت عائشة: كنت قاعدة عن النبي ﷺ إذ أقبلت «زيدة» جارية «عمر بن الخطاب»، وكانت من المجتهدات في العبادة، وكان النبي ﷺ يدنيها لما يعلم منها، فقالت: السلام عليك ورحمة الله، يا رسول الله! كنت عجنت عجيناً لأهلي، فخرجت لأحتطب، فإذا أنا برجل نقي الثياب، طيب الريح، كأن وجهه القمر، ليلة البدر، على فرس أغَرَّ محجَّل، فدنا مني، وقال: السلام عليك يا زائدة!.

فقلت: وعليك السلام، قال: هل أنت مُبْلِغَةٌ عني ما أقول؟ قلت: نعم، إن شاء الله عزَّ وجلَّ، فقال: إذا لقيت «محمداً» ﷺ فقولي: إني لقيت «الخَضِرَ» وهو يَقرئك السلام.. وذكر الحديث في فضل النبي ﷺ

وأمته[1]، وبقيت «زائدة» وفية لدينها حتى لقيت وجه ربها، رحمها الله تعالى.

السيدة زنّيرة الرومية

أخرج ابن الأثير في «أسد الغابة» قال:[زنِّيرة الرومية]: كانت من السابقات إلى الإسلام، أسلمت في أول الإسلام، وعذبها المشركون.

وقيل: كانت مولاة بني مخزوم، فكان «أبو جهل» يعذبها. وقيل: كانت مولاة بني عبد الدار، فلما أسلمت عميت، فقال المشركون: أعمتها اللات والعُزَّى لكفرها بهما، فقالت: وما يدري اللات والعُزَّى من يعبدهما؟ إنما هذا من السماء، وربي قادر على ردِّ بصري، فأصبحت من الغد، وقد ردَّ الله بصرها.

فقالت قريش: هذا سحر «محمد» ﷺ. ولما رأى «أبو بكر» رضي الله عنه ما ينالها من العذاب، اشتراها فأعتقها. وهي أحد السبعة الذين أعتقهم «أبو بكر»[2].

رحمها الله تعالى.

السيدة زينب بنت أبي معاوية رضي الله عنها

نسبها: اسمها «زينب»، وأبوها «أبو معاوية الثقفي» وزوجها الحبر الجليل «عبد الله بن مسعود» مرافق رسول الله ﷺ، وصاحب سره وسواكه ووساده، وحامل نعليه الشريفتين، وكان «عبد الله» يشكو الفاقة، فاستفتت رسول الله ﷺ عما إذا كانت تجزيها الصدقة على زوجها، وقد أخرج

(1) انظر أسد الغابة (5/ 292).

(2) أسد الغابة (5/ 292-293).

الإمام مسلم في صحيحه، عن حسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عمرو بن الحارث، عن «زينب» امرأة «عبد الله» قالت: قال رسول الله ﷺ: (تصدقن، يا معشر النساء! ولو من حَلْيِكُنَّ)، قالت فرجعتُ إلى «عبد الله»، فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة، فأته، فاسأله، فإن كان ذلك يجزي عني - أي: يكفي - وإلا صرفتها إلى غيركم.

قالت: فقال لي عبد الله: بل ائتيه أنت.

قالت: فانطلقت، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها.

قالت: وكان رسول الله ﷺ قد أُلقيت عليه المهابة.

قالت: فخرج علينا «بلال» فقلنا له:

ائت رسول الله ﷺ، فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزي الصدقة عنهما، على أزواجهما، وعلى أيتام في جحورهما؟ ولا تخبره من نحن.

قالت: فدخل «بلال» على رسول الله ﷺ، فسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «من هما؟»، فقال: امرأة من الأنصار و «زينب».

فقال رسول الله ﷺ: «أي الزيانب؟»، قال: امرأة «عبد الله»، فقال له رسول الله ﷺ: (لهما أجران. أجر القرابة، وأجر الصدقة)[1]، وعادت «زينب» وأنفقت على زوجها. رحمها الله تعالى.

السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها

هل أتاك حديث بني «جحش بن رئاب»؟ إنهم من السابقين إلى الإسلام، والمصدقين لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وأمهم عمة رسول الله ﷺ

(1) صحيح مسلم برقم (45/ 1000).

«أميمة بنت عبد المطلب»، وقد شكك الحافظ الذهبي في سيره بإسلامها،[1] ولم يثبت إسلامها عند أحد.

فمن هم بنو جحش يا ترى؟ كانوا ثلاثة رجال، وثلاث نساء، أما الرجال فهم «عبد الله» و «عبيد الله» و «أبو أحمد» الشاعرُ الأعمى بصراً والصحيحُ بصيرةً. وأما النساء فهن: «زينب» و «حمنة» و «أم حبيبة»، ولما آذت قريش أصحاب رسول الله ﷺ، وأرادت أن تفتنهم عن دينهم، أذن رسول الله ﷺ لهم بالهجرة إلى الحبشة، فخرج مع المهاجرين «عبد الله» ومعه أخوه «عبيد الله» وبصحبته امرأته «أم حبيبة بنت أبي سفيان»، لكن «عبيد الله» لم يلبث أن ارتد إلى النصرانية، وأكب على الخمر، ومات كافراً، وثبتت امرأته «أم حبيبة» على إسلامها، فأرسل النبي ﷺ إلى «النجاشي» ملك الحبشة ليزوجه إياها، ففعل، وأقام وليمة لذلك، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، ثم بعث بها إليه مع «شرحبيل ابن حسنة»، فكان فضل الإسلام عليها عظيماً، وأصبحت أماً للمؤمنين.

نسبها: كانت «زينب» ذات حسب ونسب رفيعين، ولها مكانة عالية بين أبناء عبد شمس، بيد أن الإسلام جعلها أشمخ قدراً، وأعلى شأناً، وأسمى مقاماً، فكانت وإخوتها في صف السعداء من أقارب النبي ﷺ الذين صدقوه ونصروه وآزروه، ولم يكونوا من الأشقياء الذين كذبوه وعادوه، والله يؤتي الفضل من يشاء، وكانت تكنى بأم الحكم.

الهجرة إلى المدينة: خرج «عبد الله بن جحش» وأخوه «أبو أحمد» وأخواته، مهاجرين إلى المدينة، مخلِّفين ديارهم في مكة خاوية على عروشها، ملعباً للرياح، ومقراً للأشباح، وقد مرَّ بها «أبو سفيان بن حرب»، ورآها على هذه الحال، فبادر إلى احتلالها، قبل أن يسبقه غيره إليها. ولما بلغ الخبر «عبد الله بن جحش» أسرع إلى رسول الله ﷺ وأعلمه بما صنعه «أبو سفيان»، وردَّ عليه رسول الله ﷺ بقوله: (ألا ترضى يا عبد

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 273-274).

الله! أن يعطيك الله بها داراً في الجنة؟) فقال: بلى، يا رسول الله! وما لي لا أرضى بذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: (فذلك لك)، ولم يكن أحد أنعم بالاً من«عبد الله» ولا أطيب نفساً منه بما سمع.

ويوم أُحُدٍ كان «عبد الله» على موعد لاستلام الدار التي وعده بها رسول الله ﷺ، فقد اتخذ الله شهداء كان «عبد الله» واحداً منهم، ولم تكن الدار خالية كالتي غصبها «أبو سفيان» بل كانت الحور العين ينتظرنه فيها وقد فاضت بهن الأشواق إلى لقائه.

زواج زينب: كانت «زينب» إلى جانب حسبها ونسبها، تملك حظاً وافراً من الجمال، جعلها محط أنظار أفضل فتيان قريش كمالاً، وأوفرهم أموالاً، ولكن من ذا الذي يعلم بما تخبئه الأقدار، غير عالم الأسرار، ومولج الليل في النهار؟.

وجاء في التنزيل العزيز وصف رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 3-4].

وكان «زيد بن حارثة» ربيبَ رسول الله ﷺ وحِبَّه، بل كان يدعى «زيد بن محمد» قبل أن ينزل الله على رسوله ﷺ تحريم التَبَنِّي. ورأى رسول الله ﷺ أن «زيداً» قد أصبح بحاجة إلى بيت يؤويه، وامرأة يسكن إليها، وكان لزيد عقل يفيض بالحكمة والعلم. وشجاعة وحيوية وشباب حفزت رسول الله ﷺ على تأميره في الغزوات على المهاجرين والأنصار والأكابر، ولذلك كله، لم يجد عروساً مناسبة لزيد أفضل من ابنة عمته «زينب».

وما كان «زيد» الذي آثر قرب رسول الله ﷺ والعيش إلى جانبه، على العودة إلى بيت أبيه، ليعترض على ذلك الاختيار، ولكن أي صدًى كان للخبر عند العروس حين أعلمت به؟ إنه الرفض وبإصرار، معززاً بتأييد أخيها «عبد الله» لها.

إن رواسب تقاليد الجاهلية، ورسوخ عاداتها في نفوس أهلها، لم يكن استئصالها بالأمر السهل، لأن المبادىء التي جاء بها الإسلام تحتاج إلى

بعض الوقت حتى تترسخ في نفوس أتباعه. ولذا حَسِبَتْ «زينب» وأخوها «عبد الله» أن رفض اختيار رسول الله ﷺ أمر عادي كأي أمر يعالجه الناس فيما بينهم، ثم بعد قليل يذهب كل منهم في حاله، وينتهي الإشكال.

ولكن الصورة هَهُنَا تختلف أَيَّما اختلاف، فالأمر ليس من عامة الناس، ولكنه سيد البشر، ولا مفر من إطاعته إذا أمر. قال رسول الله ﷺ لزينب: (قد رضيته لك)، وردَّت «زينب» بدون تروٍّ، ولا إمعان تفكير: (ولكني لا أرضاه لنفسي). إنها تفكر بمنطق الجاهلية، و«زيد» في نظرها إن هو إلا مولًى وهي من حرائر الأشراف، ولا يستقيم عندها أن تتزوج الحرة من عبد رقيق، أما منطق الإسلام والمعيار عند رسول الإسلام الذي لا يعوَّل على غيره فهو التقوى والدين، وكان لزيد منهما حظ عظيم.

وأيضاً حَسِبَتْ «زينب» أن الأمر انتهى عند ردِّها، دون أن تعلم أن السماء ستصدر حكمها، وليس لها عندئذ- إذا ما عارضته - نصيرٌ ولا شفيعٌ. وجاء جبريل عليه السلام ومعه حكم الله من فوق سبعة أرقعة، ونصه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]. ولما سمعت المؤمنة الشابة بقرار السماء، أحست بخطئها، وبان لها أن تصحيحه قريب المنال. ويحول دون نسبتها إلى الضلال. وبعثت «زينب» إلى رسول الله ﷺ بموافقتها على الزواج من «زيد» ولكن في الحلق غُصة، وعلى اللسان مرارة. وبارك رسول الله ﷺ زواج «زيد» و«زينب» وشيعهما بدعائه إلى العش الذي كان يحلم «زيد» أن يرى فيه الدفء والحنان، والحب والأمان.

ولكن هيهات، إنه مجرد حلم مَرَّ في خاطر «زيد» بل كان﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: 39].

ذلك أن موافقة «زينب» على زواجها من «زيد» كانت باللسان، ولم تصدر عن الجَنَان. لقد صح عندها أن رسول الله ﷺ منح «زيداً» وسام

محبته، ووشاح تقديره، لكن صورته الماثلة في ذهنها أنه عبد لا يكافىء حرة، وهي لا تستطيع محو هذه الصورة من مخيلتها مهما بذلت من المحاولات.

حاولت أن تحبه، فأبت نفسها إلا أن تصده، ولم يكن له في ودها نصيب، فكان إذا اقترب منها، نَحَّتْه عنها، وكلما مَدَّ لها أحد حبال المودة قابلته بسكين حاد فقطعته، ووجَد «زيد» في نفسه، لأنه لا يستحق منها تلك المعاملة الفظة، وأجمع أمره على إبلاغ الحبيب الأعظم ﷺ عساه أن يخفف من معاناته، ويريحه من عذابه، وعزَّ على نبي الرحمة ما سمع، ثم أمره بالصبر، ومن أطوع من «زيد» لرسول الله ﷺ؟ وعاد إلى بيته كاسف البال، ولما حاول الدنو منها نفرت، وحين أراد لمسها انتهرته، حتى إذا جدَّد محاولته صكَّت مسامعه بكلمات تجرح كرامته وكبرياءه، إن نصيحة سيد المرسلين له بالصبر ليس ثمة شيء أجمل منها، بيد أن الحاجز الثخين الذي أقامته «زينب» بينها وبينه يعزُّ اختراقه أو إزالته. ولذلك أزمع أن يسأل النبيَّ ﷺ موافقته على طلاقها، لأن بقاءهما تحت سقف واحد متعذِّر المنال. ودخل «زيد» على رسول الله ﷺ والكآبة تغطي مُحَيَّاه، والمرارة تكاد تخنقه، ورثى ﷺ لحاله، وسمع منه ما سمع، ثم قال له: (فما لك؟ يا زيد! هل رابك منها شيء؟) وما كان «زيد» ليكذب على أصدق الناس الذي غرس في نفسه وفي أصحابه مكارم الأخلاق، فقال: لا، والله، يا رسول الله! ما رابني منها شيء ولا رأيتُ إلا خيراً، إن «زينب» تتعظَّم عليَّ لشرفها، وإن فيها كِبْراً، وهي تؤذيني بلسانها. فقال رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: 37].

وأبدى «زيد» لرسول الله ﷺ أن لا مناص من أبغض الحلال، لأن التفاهم مع «زينب» لا سبيل له، وظلَّ يلحُّ على رسُول الله ﷺ حتى وافقه على فراقها، لدفع معاناته منها.

وعاد «زيد» إلى بيته، فأخبر «زينب» بطلاقها بعد موافقة رسول الله ﷺ، وأخلدت «زينب» إلى عدتها، تقطِّع أيامها بالصلاة والصيام، والنظر في

كتاب الله، وفَوَّضَت أمرها إليه، والتمست الأمان لديه، فلم يبخل به على من التجأ إليه، وكان اعتماده واتكاله عليه.

وتَصَرَّمَت أيام العدة، وحَلَّت «زينب» للزواج، وكان السفير فيه «جبريل» عليه السلام فقد حمل إلى رسول الله ﷺ رسالة من رب العزة يخبره فيها أنه زوَّجه التي قضى «زيد» منها وطره، إنها «زينب» مطلقة «زيد» ربيبه، وابنة عمته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: 37-39].

فلما فرغ «جبريل» عليه السلام من مهمته، بادر رسول الله ﷺ إلى تنفيذ فحواها، فأرسل «زيداً» ليخطبها له، وقال: (اذهب، فاذكرها عليَّ).

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه «حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا بَهْزٌ (ح) وحدثني محمد بن رافع، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، قالا جميعاً: حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، وهذا حديث بَهْزٍ، قال: لما انقضت عدة «زينب» قال رسول الله ﷺ لزيد: (فاذكرها علي) قال: فانطلق «زيد» حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري - أي: هابها لأن رسول الله يريد تزوجها - حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أنَّ رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتُها ظهري، ونكصتُ على عقبي، فقلت: يا زينب! أرسل رسول الله ﷺ يذكرك.

قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن - لأن الزواج انعقد بالأمر الإلهي - قال، فقال: ولقد رأيتُنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز

واللحم حين امتد النهار، فخرج النساء وبقي رجالٌ يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتَّبعته، فجعل يتتبَّع حُجَرَ نسائه يسلم عليهن، ويقلن يا رسول الله! كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني، ، قال: فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه، فألقى السِّتْرَ بيني وبينه، ونزل الحجاب، قال: ووُعِظ القوم بما وُعِظوا به.

زاد ابن رافع في حديثه: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ - أي إدراكه ونضجه - إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: 53] (1). وكان اسمها «بَرَّة» فغيره النبي ﷺ إلى «زينب»، وهكذا، أصبحت «زينب» رضي الله عنها أماً للمؤمنين.

وكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ جميعهن، تقول لهن: زوَّجَكُنَّ أهلوكُنَّ، وزوجني الله عزَّ وجلَّ من فوق سبع سماوات.

[وقد ذكر بعض العلماء لهذا الحديث فوائد، قال: وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه، وفيه أيضاً: اختبار ما كان عنده منها، هل بقي منه شيء أم لا؟ وفيه: استحباب فعل المرأة الاستخارة، ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة، وأن من وَكَّل أمره إلى الله عزَّ وجلَّ يسَّر الله له ماهو الأَحظُّ له والأنفع دنيا وأخرى](2).

ونقل ابن جرير، والبلاذري، عن الشعبي، قال: كانت «زينب» تقول للنبي ﷺ: (إني لأُدِلُّ عليك بثلاث، ما من نسائك امرأة تُدِلُّ بهن: إن جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وكان «جبريل» عليه السلام السفير في أمري).

زينب الأواهة: أخرج «أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب عن حجاج بن

(1) صحيح مسلم رقم (89/ 1428).

(2) انظر أزواج النبي ﷺ للصالحي الدمشقي (ص 182 حاشية 4) تحقيق الفتح.

منهال، حدثنا عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن عبد الله بن شداد أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب: (إن «زينب بنت جحش» أواهة) فقال رجل: يا رسول الله! ما الأواه؟ قال: «الخاشع المتضرع، وإن إبراهيم لحليم أواه منيب»[1].

ورع زينب وزهدها وكثرة صدقتها: أخرج ابن الجوزي في «صفة الصفوة» «عن برزة ابنة رافع، قالت: لما جاء العطاء بعث «عمر» إلى «زينب بنت جحش» بالذي لها: فلما دخل عليها، قالت: غفر الله لعمر، لغيري من أخواتي كان أقوى على قَسْم هذا مني، قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله! واستترت دونه بثوب، وقالت: صبُّوه واطرحوا عليه ثوباً، فصبوه وطرحوا عليه ثوباً، فقالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة، فاذهبي إلى آل فلان وآل فلان من أيتامها وذوي رحمها، فقسَّمته حتى بقيت منه بقية، فقالت لها برزة: غفر الله لك، والله لقد كان لنا في هذا حظ، قالت: فلكم ما تحت الثوب، قالت: فرفعنا الثوب، فوجدنا خمسة وثمانين درهماً، ثم رفعت يدها، فقالت: اللهم! لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا، قال: فماتت[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد ذهبت حميدة مفيدة، مفزع اليتامى والأرامل[3]. كانت رضي الله عنها صناع اليدين، تدبغ، وتخرز، وتتصدق به في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه من فضائل «زينب» أم المؤمنين رضي الله عنها قال: [حدثنا محمود بن غيلان، أبو أحمد، حدثنا الفضل بن موسى السيناني، أخبرنا طلحة بن يحيى بن طلحة، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين، قالت: قال رسول الله ﷺ: (أسرعكن لحاقاً بي

(1) الاستيعاب (4/ 1852).
(2) صفة الصفوة (2/ 48).
(3) ابن سعد (8/ 110).

أطولكن يداً) قالت: فكن يتطاولن أيَّتُهُنَّ أطول يداً. قالت: فكانت أطولَنَا يداً زينبُ، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدَّق][1].

وروى الإمام أبو عبد الله البخاري في صحيحه - في حديث الأفك- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: [وكان رسول الله ﷺ يسأل «زينب بنت جحش» عن أمري، فقال: (يا زينب! ماذا علمت؟ أو رأيت؟) فقالت: يا رسول الله! أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً، قالت: وهي التي تساميني من أزواج النبي ﷺ - أي تنافسني - فعصمها الله بالورع][2].

حرصها رضي الله عنها على اتباع أوامر النبي ﷺ: أخرج الإمام أحمد، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- [أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: (هذه، ثم ظهُور الحُصُر)، قال: فكُنَّ كلّهُنَّ يَحْجُجْنَ إلا زينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة، فكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ][3].

حبه لها ﷺ ومحاسبتها: كان رسول الله ﷺ يحبها، ويستكثر منها، غير أن حبه لها كان يحكمه العقل لا العاطفة، وكان يحاسب من تخطىء من أزواجه في حق أختها- أي: ضرتها- فعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان في سفر فاعتل بعير لصفية وفي إبل «زينب» فضل، فقال رسول الله ﷺ لزينب: (أن بعيراً لصفية اعتلَّ، فلو أعطيتها بعيراً من إبلك)، فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية؟ فتركها رسول الله ﷺ ذا الحجة والمحرم شهرين أو ثلاثة لا يأتيها، قالت: حتى يئستُ منه وحوَّلتُ سريري، قالت: فبينما أنا يوماً بنصف النهار إذا أنا بظل رسول الله ﷺ مقبلاً، فدخل رسول الله ﷺ، فأعادت سريرها[4].

وأي عجب في هذا، وهو إمام المقسطين، وسيد المنصفين؟.

---

(1) مسلم برقم (101/ 2452).
(2) البخاري برقم (4473).
(3) الإمام أحمد (6/ 324).
(4) الإمام أحمد في مسند عائشة (6/ 131).

وصيتها ووفاتها: كانت أول نساء النبي ﷺ لحوقاً به، وكانت وصيتها أن تحمل على سرير رسول الله ﷺ، وأن يجعل عليه نعش، وقالت: إني قد أعددت كفني فإن بعث لي «عمر» بكفن فتصدقوا بأحدهما، وإن استطعتم إذ أدليتموني أن تتصدقوا بحقوقي فافعلوا. إن هاجس الصدقة لم يفارقها حتى في ساعة الرحيل.

ولما ماتت، نادى منادي «عمر» ألَّا يخرج على زينب إلا ذو رحم من أهلها ولما أرته «أسماء بن عميس» النعش الذي يصنعه الأحباش لموتاهم أعجب به، وقال: ما أحسن هذا! ما أستر هذا! وأمر الناس بالخروج، ثم قام على قبرها، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني أرسلتُ إلى نساء النبي ﷺ حين مرضت هذه المرأة أنْ من يمرضها، ويقوم عليها؟ فأرسلن: نحن، فرأيتُ أن قد صدقن، ثم أرسلتُ إليهن حين قُبِضَتْ: من يغسلها ويحنطها ويكفنها؟ فأرسلن: نحن، فرأيتُ أنْ قد صدقن، ثم أرسلتُ إليهن: من يدخلها في قبرها؟ فأرسلن: من كان يحل له الولوج عليها في حياتها، فرأيتُ أنْ قد صدقن، فاعتزلوا أيها الناس! فنحَّاهم عن قبرها، ودفنت بالبقيع عن ثلاثة وخمسين عاماً.

وفي قصيدة لي نظمتها عن مناقب أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين، خصصت السيدة «زينب» رضي الله عنها بهذه الأبيات:

من في النساء كزينبٍ أواهة؟ ... ولها اليد الطولى لدى الإعطاءِ
كانت صَنَاعًا تبتغي بصنيعها ... وَجْهَ الذي يجزي أجلَّ جزاءِ
حُمِلَتْ على نَعْشٍ لأول مرةٍ ... لما أقَرَّه أعدل الخلفاءِ
عَقِبَ الذي قالته أسماء له: ... ألفيتُ في الأحباش حُسْنَ رُوَاءِ
انظر إليه، فقال: هذا ساتِرٌ ... بل إنه من أحسن الأشياءِ
هيا اخرجوا لوداع أمكم فقد ... أدت حقوق الله خيرَ أداءِ

رحمها الله تعالى.

السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

هل أتاك حديث المرأة التي حصلت على أفضل لقبين؟ أولهما أم المساكين، وثانيهما: أم المؤمنين، نَالتْه بزواجها من خاتم المرسلين. إنها «زينب بنت خزيمة» رضي الله عنها.

نسبها: والدها «خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان الهلالية».

وأمها «هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة الحميرية» أكرم عجوز في الأرض أصهاراً.

وأختها لأمها «ميمونة بنت الحارث» أم المؤمنين.

من تزوجها قبل النبي ﷺ: أورد الصالحي الدمشقي في كتابه «أزواج النبي ﷺ» تحت عنوان: في تزويج النبي ﷺ بها ما يلي:

[قال الزهري: كانت قبله ﷺ عن «عبد الله بن جحش»، فقتل عنها يوم أُحُد.

وقال قتادة بن دعامة: كانت قبل رسول الله ﷺ عند «الطفيل بن الحارث». رواهما ابن أبي خيثمة.

ولما خطبها رسول الله ﷺ جعلت أمرها إليه، فتزوجها وأشهد، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونَشًّا.

وروى الطبراني برجال الصحيح عن ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - قال: تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية، أم المساكين - كانت قبله عند الحصين، أو عند الطفيل بن الحارث - بالمدينة، وهي أول نسائه موتاً.

وقال ابن الكلبي: كانت عند «الطفيل بن الحارث» فطلقها، فتزوجها أخوه «عبيدة» فقتل يوم «بدر» شهيداً. ثم خلف عليها رسول الله ﷺ في

رمضان على رأس أحد وثلاثين شهراً بعد «حفصة» «قبل أن يتزوج أختها لأمها ميمونة».

قال ابن سعد: ماتت قبل أن يتزوج النبي ﷺ «أم سلمة» وأسكن «أم سلمة» في بيتها[1].

دور «عبيدة بن الحارث» زوجها يوم بدر: لما كان يوم «بدر» خرج ثلاثة من المشركين، هم «عتبة بن ربيعة» و «شيبة بن ربيعة» و «الوليد بن عتبة» فدعا «عتبة» إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة هم: عوف ومعوِّذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر هو«عبد الله بن رواحة» فقال: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم حاجة، ثم نادى مناديهم: يا محمد! أخرج لنا أكفاءنا من قومنا، فأمر رسول الله ﷺ «حمزة بن عبد المطلب» و «عبيدة بن الحارث» و «علي بن أبي طالب» أن يخرجوا إليهم، فلما دنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فقالوا: حمزة، عبيدة، علي، فقالوا: نعم، أكفاء كرام! وتبارز الفريقان فقتل «حمزة» صاحبه «شيبة بن ربيعة» ، وقتل «علي» صاحبه «الوليد بن عتبة» وأما «عبيدة بن الحارث» - وكان أسَنَّ القوم- فقد تبادل مع صاحبه«عتبة بن ربيعة» ضربتين، فأثبت كل منهما صاحبه - أي: جرحه جراحة لم يقم معها -، ثم أقبل «حمزة» و «علي» على «عتبة» فزفّفا عليه - أي: أجهزا عليه-، ثم حملا أخاهما «عبيدة» وقد قطعت رجله، وأتوا به إلى رسول الله ﷺ، فقال: ألستُ شهيداً؟ يا رسول الله! قال: «بلى». فقال «عبيدة»: لو كان «أبو طالب» حياً لعلم أني أحق بما قال منه حيث يقول:

ونسلمه حتى نصرَّعَ حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل[2].

ثم التحم الجمعان، وأخذت السيوف المؤمنة تحصد رؤوس الشرك، وكان من أبرز من قتل من زعماء قريش، فرعون الأمة «أبو جهل» وابنا

(1) أزواج النبي ﷺ (193-194).
(2) تاريخ الطبري (2/ 445-446).

ربيعة: «عتبة» و«شيبة» و «الوليد بن عتبة» و «أمية بن خلف» وابنه، وسواهم، وفي طريق العودة، أمر رسول الله ﷺ «علي بن أبي طالب» بالصفراء، بقتل «النضر بن الحارث بن كَلَدَة»، ثم أمر «عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح» بقتل «عقبة بن أبي معيط» بِعْرق الظبية، وكان «النضر» و «عقبة» من كبار سفهاء قريش الذين آذوا رسول الله ﷺ والمسلمين أشد الأذى.

ولم يلبث «عبيدة بن الحارث» إلَّا أياماً حتى توفي متأثراً بجراحته - رحمه الله تعالى -.

وتلقت «زينب بنت خزيمة» نبأ وفاة زوجها «عبيدة» برباطة جأش، وثبات جنان، وذكرت قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: 156-157] فراحت تسترجع وتستغفر له، ولا تقول إلا ما يرضى به الله تعالى، ثم دخلت في عدتها، مستعينة بالصبر والصلاة، كما أمر الباري عزَّ وجَلَّ، ولكن الذكريات السارة لها مع «عبيدة» كانت تُهَيِّج مدامعها فتنهمل، وما بها رغبة إلى البكاء.

وآمت «زينب» وهي في ميعة الصبا، وشرخ الشباب، وفوضت أمرها إلى الله، حتى إذا انقضت أيام العدة سعى إليها خير البرية خاطباً راغباً في ضَمِّها إلى البيت النبوي المشرَّف، فجعلت أمرها إليه ﷺ، فنكحها، وأصبحت إحدى أمهات المؤمنين. رضي الله عنهن. وقسم لها كما قسم لسائر أزواجه ﷺ.

لماذا لقبت بأم المساكين؟: كانت «زينب» تتألم، وهي ترى السادة والأشراف من أهل الجاهلية، وهم يعاملون عبيدهم ومواليهم بمنتهى القسوة، فرقَّت لهم، ورثت لحالهم ومعاناتهم، وعزَمَت على تقديم يد العون، وبذل المساعدة التي تطيق.

وراعها ذات يوم، وهي ترى أحد المساكين المستضعفين، وقد انهال

عليه سيده ضرباً بعصا كانت في يده، ولم يزل يضربه بها حتى انكسرت، لكنه لم يرحمه ويكف عن ضربه، فعمد إلى سوط كان لديه، وأخذ يَسْلِقُ جسده الضعيف به حتى أدماه، وتمزق بعض لحمه، وكم كانت دهشتها عظيمة حين علمت بالسبب الذي حدا بهذا السيد المتكبر، ودعاه إلى فعله المشين.

أما الذنب الذي قارفه ذلك المسكين، ونال عليه أشد العقاب، فلم يكن سوى أنه جاع، فتناول من الطعام ما يسكت به جوعه، دون إذن سيده، فيا له من ذنب عظيم، جعله أهلاً للعقاب الأليم! لقد أثار هذا المشهد كل مشاعر الشفقة عند «زينب» فأجمعت أمرها على وقف حياتها وبذل مالها في حاجات المساكين، ففتحت بابها لاستقبالهم، ولم تأل جهداً في الإنفاق عليهم، وتأمين لوازمهم في أي وقت يحتاجون فيه إليها، حتى لقيت وجه ربها عزَّ وجلَّ.

وقد أخرج صاحب الإصابة عن القطلاني: كانت «زينب بنت خزيمة» تدعى في الجاهلية أم المساكين[1].

وأخرج الطبراني - برجال ثقات - عن الزهري - رحمه الله تعالى - قال: (تزوج رسول الله ﷺ «زينب بنت خزيمة الهلالية» وهي أم المساكين سميت بذلك لكثرة إطعامها المساكين، وتوفيت ورسول الله ﷺ حي، لم تلبث معه إلا يسيراً)[2].

أما ابن أبي خيثمة فقال: كانت تسمى «أم المساكين» في الجاهلية، وأرادت أن تعتق جارية لها سوداء، فقال لها رسول الله ﷺ: (ألا تفيدين بها بني أخيك أو بني أختك من رعاية الغنم)[3].

---

(1) الإصابة (7/ 673).

(2) الطبراني في الكبير (24/ 57).

(3) الطبقات لابن سعد (8/ 116) وخطأه صاحب الإصابة (7/ 673).

هل روت أم المساكين الحديث النبوي؟: ذكر ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - في «المجتبى» قال: (وما نعلمها أسندت شيئاً).

أما سبب عدم روايتها للحديث فيرجع إلى قصر الفترة التي عاشتها مع رسول الله ﷺ، إذ وافاها الأجل على عجل. واختلف في المدة التي قضتها في البيت النبوي المطهر.

وفاة السيدة «زينب» رضي الله عنها: اختلف أهل السير في فترة لبثها عند النبي ﷺ، قال الزهري وقتادة، فقالا: لم تلبث عند رسول الله ﷺ إلا يسيراً، وتوفيت بالمدينة، والنبي ﷺ حي.

وذكر ابن طولون في مرشد المحتار: وقد مكثت عند رسول الله ﷺ ثمانية أشهر، وقيل: شهرين، وقيل: ثلاثة، والصحيح أن وفاتها كانت في ربيع الأول، وقيل: الآخر، سنة أربع للهجرة النبوية المباركة[1].

أما ابن حزم فقد قال في «جوامع السيرة»: إنها توفيت بعد شهرين من انضمامها إلى النبي ﷺ قولاً واحداً[2]. وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى: ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها[3]. وفي قصيدة لي نظمتها عن مناقب أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين، خصصت السيدة «زينب» رضي الله عنها بهذه الأبيات:

أو زينبٍ أم المساكين التي ... لم تولها الأيام طولَ بقاءِ
فقضت ملبيةً لدعوة ربها ... ومضت مُشَيَّعة بخير دعاءِ
من أكرم الأزواج ما بين الورى ... مَنْ لم يُسَلِّمْ مثلُه بقضاءِ

رحمها الله تعالى.

(1) مرشد المحتار (262).
(2) جوامع السيرة (33).
(3) الطبقات (8/ 116).

السيدة زينب بنت علي ﵂

هل أتاك حديث عقيلة بني هاشم الثابتة الجنان، وسبطة النبي المصطفى العدنان، وربة الفصاحة والبلاغة والبيان؟ إنها «زينب بنت علي» ﵂.

نسبها: أبوها «علي بن أبي طالب» فارس الفرسان، وأمها «فاطمة الزهراء» التي ضنَّ بمثلها الزمان، سمتها باسم أختها «زينب الكبرى».

ترجم لها ابن الأثير في «أسد الغابة» فقال: [أدركت النبي ﷺ، وولدت في حياته، ولم تلد فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد وفاته شيئاً، وكانت «زينب» امرأة عاقلة، لبيبة جَزْلَةً - أي: فصيحة - زوَّجها أبوها «علي» ﵂ من «عبد الله» ابن أخيه «جعفر» فولدت له «علياً» و «عوناً الأكبر» و «عباساً» و «محمداً» و «أم كلثوم»، وكانت مع أخيها «الحسين» ﵁ لما قتل، وحملت إلى دمشق، وحضرت عند «يزيد بن معاوية» وكلامها ليزيد حين طلب الشأمي أختها «فاطمة بنت علي» من «يزيد» مشهور مذكور في التواريخ، وهو يدل على عقل وقوة جنان][1].

وقد أخرج ابن جرير الطبري حديثها بعد مقتل أخيها «الحسين» مع «يزيد»، قال: [قال أبو مخنف، عن الحارث بن كعب، عن فاطمة بنت علي، قالت: لما أُجْلِسْنا بين يديْ «يزيد بن معاوية» رقَّ لنا، وأمر لنا بشيء، وألطفنا، قالت: ثم إن رجلاً من أهل الشأم أحمر، قام إلى «يزيد» فقال: يا أمير المؤمنين! هب لي هذه - يعنيني، وكنت جارية وضيئة - فَأَرْعِدْتُ وفَرِقْتُ، وظننتُ أن ذلك جائز لهم، وأخذتُ بثياب أختي «زينب».

قالت: وكانت أختي «زينب» أكبر مني وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون، فقالت: كذبت والله ولَؤُمْت! ما ذلك لك وله[2]، فغضب «يزيد»،

(1) أسد الغابة (5/ 300) والإصابة (4/ 321).
(2) ابن الأثير: ولا له.

فقال: كذبت، والله، إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلتُ، قالت: كلا، والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا، قالت: فغضب «يزيد» واستطار، ثم قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت «زينب»: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدِّي اهتديت أنت وأبوك وجدك، قال: كذبتِ، يا عدوة الله! قالت: أنت أمير مُسَلَّط، تشتم ظالماً، وتقهر بسلطانك.

قالت: فوالله، لكأنه استحيا، فسكت. ثم عاد الشأمي فقال: يا أمير المؤمنين: هب لي هذه الجارية، قال: أعْزُبْ، وَهَبَ الله لك حتفاً قاضياً، قالت: ثم قال يزيد بن معاوية: يا نعمان بن بشير! جهزهم بما يصلحهم، وابعث معهم رجلاً من أهل الشأم أميناً صالحاً، وابعث معهم خيلاً وأعواناً، فسير بهم إلى المدينة، ثم أمر بالنسوة أن يُنْزَلْن في دار على حدة، معهن ما يصلحهن، وأخوهن معهن «علي بن الحسين» في الدار التي هن منها، قال: فخرجن حتى دخلن دار «يزيد» فلم تبق من «آل معاوية» امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على «الحسين» فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً، وكان «يزيد» لا يتغدى ولا يتعشى إلا دعا «علي بن الحسين» إليه، قال: فدعاه ذات يوم، ودعا «عمر بن الحسن بن علي» وهو غلام صغير، فقال لعمر بن الحسن: أتقاتل هذا الفتى؟ يعني «خالداً» ابنه، قال: لا، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً، ثم أقاتله، فقال له يزيد، وأخذه فضمَّه إليه، ثم قال: شنشنة أعرفها من أخزم، هل تلد الحية إلَّا حية؟ قال: ولما أرادوا أن يخرجوا، دعا «يزيد» علي بن الحسين، ثم قال: لعن الله «ابن مرجانة» أما لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلَّا أعطيتُها إياه، ولدفعتُ الحتفَ عنه بكل ما استطعتُ، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني وأَنْهِ كل حاجة تكون لك.

قال: وكساهم، وأوصى بهم ذلك الرسول، قال: فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طَرْفَه - بصره - فإذا نزلوا

تنحَّى عنهم، وتفرَّق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم، فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا، ويسألهم عن حوائجهم. ويلطفهم حتى دخلوا المدينة.

وقال الحارث بن كعب: فقالت لي فاطمة بنت علي: قلت لأختي زينب: يا أُخَيَّة! لقد أحسن هذا الرجل الشأمي إلينا في صحبتنا، فهل لك أن نصله؟ فقالت: والله، ما معنا شيء نصله به إلا حُلِيُّنا، قالت لها: فنعطيه حُلِيَّنا. قالت: فأخذتُ سواري ودُمْلجي، وأخذت أختي سوارها ودمْلُجها، فبعثنا بذلك إليه، واعتذَرْنَا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحَسَنِ من الفعل.

قال: فقال: لو كان الذي صنعتُ إنما هو للدنيا كان في حُلِيِّكُنَّ ما يرضيني ودونه. ولكن، والله، ما فعلته إلا لله، ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

حقاً! إن «زينب» لفصيحة بليغة، يعز مثلها بين النساء. وقال المحب الطبري في ذخائر العقبى: [لم تذكر وأختها «أم كلثوم في أحاديث أهل البيت المشار إليهم في الآية، لأنهما - والله أعلم- لم تكونا موجودتين حين نزول الآية وتجليلهم بالكساء، وقوله صلى الله عليه وآله ما قال][2]. وحسبُها مكانتها الرفيعة التي لها في قلوب الناس واختلف في وفاتها بين المدينة ومصر، والأول أشهر ودفنت في البقيع، عام «62».

رحمها الله تعالى.

(1) تاريخ الطبراني (5/ 461-463).
(2) ذخائر العقبى / 167).

السيدة زينب بنت العوام رضي الله عنها

قال ابن الأثير في «أسد الغابة»[1]:

«زينب بنت العوام» أخت «الزبير»، وهي أم «عبد الله بن حكيم بن حرام»، أسلمت، وبقيت إلى أن قتل ابنها يوم الجمل، فقالت ترثيه وترثي «الزبير» أخاها:

أعينيَّ جودا بالدموع فأسرعا ... على رجل طلق اليدين كريمِ
زبير وعبد الله ندعو لحادثٍ ... وذي خلَّةٍ منا وحمل يتيمِ
قتلتم حواريَّ النبي وصهره ... وصاحبه فاستبشروا بجحيمِ
وقد هدني قتل ابن عفان قبله ... وجادت عليه عبرتي بسُجومِ
وأيقنت أن الدين أصبح مدبراً ... فكيف نصلي بعده ونصومُ
وكيف بنا؟ أم كيف بالدين بعدما ... أصيب ابن أروى وابن أم حكيمِ؟

السيدة زينب الكبرى بنت محمد ﷺ

هل أتاك حديث الغادة الشهيدة، ابنة «الطاهرة» المجيدة؟ أول دُرَّةٍ أهدتها سيدة النساء، لفخر الكائنات وخاتم الأنبياء، فَغَمرت البيتَ النبويَّ سعادة وسرور، وعمته البهجة والحبور. وطار الخبر إلى الحبيب الأعظم ﷺ، فانطلق إلى «خديجة» مهنئاً لها بالسلامة، وقد ارتسمت على محياه أجمل ابتسامة. ثم حمل الوردة الندية، وضمها إلى صدره يتشممها تارة، ويقبلها تارة أخرى، ولسانه ما يكف عن الدعاء لها، والشكر لمن وهبها، وأراق ماء الحسن في قسماتها، وسماها«زينب»، ومن أعظم حظاً من «زينب» وهي ثمرة خير أبوين، وأفضل والدين؟.

زفاف زينب: ونمت «زينب» وترعرعت، حتى أصبحت أهلاً للزواج،

(1) أسد الغابة (5/ 300/ 301).

ومطمحاً لأعز فتيان قريش، وجاءت الحماة السعيدة إلى السيدة «خديجة» خاطبة، تريد أن تمهد السبيل لموافقة والد العروس، فمن هي الحماة الخاطبة؟ ومن هو العريس، يا تُرى؟.

لقد كانت الحماة «هالة» أخت السيدة «خديجة»، وأما العريس فابنها «أبو العاص بن الربيع». وسُرَّت «خديجة» بطلب أختها ووعدتها خيراً حتى تؤامر «أبا القاسم ﷺ»، وما كان ﷺ ليرفض طلباً تُسَرُّ به سيدة نساء العالمين.

وتم الزفاف الميمون، وأهدت «خديجة» لابنتها «زينب» قلادة سيكون لها شأن بعد حين، وخرجت «زينب» من البيت الأطهر الذي شهدت جدرانه كل ذكرياتها من الطفولة إلى سن الشباب، مشيَّعة بدعاء أبويها، وتمنياتهما لها بالسعادة والهناء، لتدخل بيت «أبي العاص بن الربيع» فأي زوج كان؟ إنه شاب في عنفوان الشباب، ذو حسب ونسب، من أفضل رجال مكة شرفاً، وأكثرهم مالاً، هو تاجر معروف بين التجار بالصدق والأمانة والوفاء، وحسن السيرة، والخلق القويم، وآية ذلك شهادة سيد الخلق له بعد زمن من زواجه بابنته، حيث قال ﷺ في جزء من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه: (فإني أنكحت «أبا العاص بن الربيع» فحدثني فصدقني)[1]. وكفى بها من شهادة! وأي وصف أعظم من أن يوصف المرء بصدق الحديث؟.

ورفل الزوجان الحبيبان «زينب» و «أبو العاص» في أثواب السعادة، وتقلبَّا في أحضان الوئام. ولكن هل لصفو الأيام من دوام؟.

نزول الوحي: وكعادته، خرج «أبو العاص» في تجارة له، وأثناء غيابه، نزل «جبريل» على النبي ﷺ برسالة الإسلام، وهو يتحنَّث - أي يتعبَّد - في غار «حراء»، ولما عاد إلى أهله، وأخبر زوجه «خديجة» وبناته بما أوحي إليه، أسلمن من فورهن، ولم تكن «زينب» بحاجة لتنتظر عودة زوجها

(1) صحيح مسلم برقم (96/ 2449).

فتشاوره في متابعة أبيها والإيمان بما جاء به، وتصديقه، لأن الحق متى ظهر وبان، لم يعد هناك مُسَوِّغ للكتمان، ووجبت مساندته في الحال، لذا وقفت «زينب» وأخواتها وأمها إلى جانب أعز الرجال.

ولما انقلب «أبو العاص» من سفره، وأصبح على مشارف «أم القرى» سمع بعض الناس يتهامسون ويتحدثون عن أن «أبا القاسم» ﷺ، قد أوحي إليه وأنه يدعو الناس إلى التوحيد، ونبذ عبادة الأصنام والأوثان وما يعبد من دون الله تعالى، فحثَّ الخطى ميمماً شطر داره، حيث الحبيبة «زينب» في انتظاره، حتى إذا دخل عليها كان متجهماً وراغباً في معرفة الحقيقة من فم ابنة الصادق الأمين، فقال لها: ما هذه الشائعات التي يخوض الناس فيها، ويزعمون أن أباك قد أوحي إليه، وأنه يأمرهم بترك دين آبائهم، وهجر آلهتهم التي هم عليها عاكفون؟ وبصدق الإيمان، وجرأة الحق، انفرجت شفتا «زينب» لتقول: إنها ليست بشائعات ولا بمزاعم، ولكنها الحقيقة التي لا مراء فيها ولا ارتياب، فقد أمرت السماء أبي بدعوة الناس إلى الله الواحد الأحد، وترك كل معبود سواه، وقد صدقناه أنا وأمي وأخواتي، وتابعناه، وما كنا لنكذبه وأنت وقومك تعلمون أنه الصادق الأمين. ووجم «أبو العاص» لما سمع، بَيْدَ أنَّ صدره لم ينشرح لمقالتها، ولم يشأ متابعتها فيما سعت إليه، إن «زينب» لم تكن ترغب في أن تخسر زوجها، فيما لو أبدت له جانب الجفوة والعنف، فهداها تفكيرها إلى سبيل اللين واللطف، ومثل «زينب» بما تربَّت عليه في البيت النبوي المطهر، لا تقنط من رحمة الله تعالى، وذات مرة قالت له: أريد أن تفهمني، ما الذي يحول بينك وبين الحق الذي يدعو إليه أبي، ويمنعك من اتباعه؟ وردَّ «أبو العاص» بقوله: ما كان أبوك عندي بمتهم، وليس أحب إليَّ من أن أسلك معك السبيل التي تسلكين، ولكني أكره لك أن يقال: إن زوجك خذل قومه، وكفر بدين آبائه، إرضاء لامرأته، وأبى الانضواء تحت قنطرة الإسلام.

ولم تيأس «زينب»، ولم تقطع أملها بالله، وطفقت تتوسل إليه وتترجاه، ومن يجيب المضطر إذا دعاه سواه؟ ولكن بعض الجواب يكون

في الحال، وبعضه يأتي بعد إمهال،لذا كان لا بد لزينب من أن تعتصم بالصبر، وتنتظر الفرج من مفرج الكروب. كانت دعوة رسول الله ﷺ الناس إلى الله بادىء ذي بدء في الخفاء، حتى إذا نزل قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: 94] تحولت إلى العلانية، فما كان من قريش إلّا أن ناصبته العداء، وأظهرت له البغضاء، وشَنَّت عليه وعلى أصحابه حرباً شعواء، وخصَّت من اتبعه بحملةٍ من الإيذاء، أما «أبو العاص» فقد كف يده، وصان لسانه عن المشاركة في إيصال أية أذية إلى رسول الله ﷺ أو أحد من المسلمين، وصرف همته إلى عمله وتجارته.

وراح الخبثاء من قريش يقلِّبون الآراء للوصول إلى أيسر السبل وأنجعها في إيلام رسول الله ﷺ وشرخ قلبه الشريف، ووجدوا ضالتهم في بناته الثلاث «زينب» و «رقية» «وأم كلثوم»، ولم يتلكأوا في تنفيذ ما أجمعوا أمرهم عليه.

كان «أبو لهب» عم رسول الله ﷺ قد خطب «رقية» و «أم كلثوم» لولديه «عتبة» و«عتيبة» فدعا وامرأته حمالة الحطب «أم جميل» ولديهما وقال لهما: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تفارقا ابنتي «محمد» ﷺ فنفذا طلبه قبل أن يدخلا بهما، فأخرجهما الله من أيديهما كرامة لابنتي رسول الله ﷺ، وهواناً لمن فارقاهما، وراح «أبو لهب» يمشي وراء رسول الله ﷺ، وكلما وقف إلى نفر يحدثهم عن الإسلام ويدعوهم إلى الله، قال لهم «أبو لهب» لا تصدقوه، فهو كاذب، وأما امرأته حمالة الحطب، فكانت تضع على طريقه الشوك والحسك تبتغي أن تدمي قدميه الشريفتين، فكان إذا وطئها أحس كأنه يطأ الحرير.

وعادت «رقية» و «أم كلثوم» إلى بيت العز والكرم لم يمسسهما سوء، حتى تزوج «عثمان بن عفان» من رقية، ولما ماتت أوحى الله إلى نبيه ﷺ أن يزوج أختها «أم كلثوم» من «عثمان» على مثل صداق أختها «رقية» ﷺ.

وظنت قريش أن الأمر عند «أبي العاص بن الربيع» سيكون أسهل ولما

كلمه وفدها، وسألوه أن يفارق امرأته «زينب» على أن يزوجوه أية امرأة من قريش يشاء، أذهلهم رده المخيِّب لآمالهم، وردَّ كيدهم إلى نحورهم حين قال: (لاها الله إذاً، لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش).

إن «أبا العاص» لم يجد عند «زينب» إلا الحب والإخلاص والوفاء، فهل يقابل ذلك بأسوإ جزاء؟.

هجرة المسلمين للمدينة ومعركة بدر: وبعد وفاة السيدة «خديجة» أوحي لرسول الله ﷺ بالهجرة، فتوجَّه رسول الله ﷺ إلى دار «أبي بكر» ليؤذنه، ولما أخبره، قال: يا رسول الله! الصحبة، فرد عليه بقوله: الصحبة، فدمعت عينا «أبي بكر» من فرط السرور، ثم أذِنَ رسول الله ﷺ إلى أصحابه بالتوجه إلى «يثرب» خفية بعيداً عن أعين سفهاء قريش ورقبائها. وبعد وصول رسول الله ﷺ إلى دار هجرته، آخى بين المهاجرين والأنصار، وغيَّر اسم «يثرب» فسماها«المدينة»، ثم أمر أصحابه ببناء مسجده الشريف، وإلحاق بعض الحجرات به لإقامة أزواجه الطاهرات، حتى إذا استقر به المقام، أمر مولاه «أبا رافع» و «زيد بن حارثة» بالانطلاق إلى مكة لإحضار ابنتيه «أم كلثوم» و «فاطمة» وزوجه «سودة بنت زمعة» وحاضنته «بركة الحبشية، أم أيمن»، وأما ابنته «رقية» فكانت قد هاجرت مع زوجها «عثمان» إلى الحبشة وبقيت «زينب» في مكة عند زوجها «أبي العاص».

يوم بدر والانتصار العظيم: أُخْبِر رسول الله ﷺ أن قافلة لقريش عائدة من بلاد الشام، يقودها «أبو سفيان بن حرب» محملة بأموال قريش وتجارتها، فأمر أصحابه باعتراضها، لأخذ ما فيها، تعويضاً عن الأموال التي غصبتها قريش من أصحابه الكرام عندما سمحت لهم بالخروج من مكة مهاجرين.

وبلغ «أبا سفيان» نبأ خروج رسول الله ﷺ بالمسلمين لاعتراض قافلته وأخذ ما فيها، فأرسل إلى مكة يستصرخ قريشاً لإنقاذ أموالها، وكان

«الحكم بن هشام» المعروف «بأبي جهل» مِسْعَرَ حَرْبٍ، فراح يحرض زعماء قريش وأبطالها على الخروج لاستئصال شأفة المسلمين، وحشد لذلك ألفاً من الفرسان والدارعين، ويمموا شطر بدر، بيْدَ أنَّ «أبا سفيان» حاد بالقافلة عن الطريق المعهودة، حتى بَلَّغها مكة بسلام. ولما رأى زعماء قريش أن أموالهم قد سلمت قرروا أن قتال المسلمين لم يعد له مبرر، لأن الغاية التي خرجوا من أجلها تحققت دون الحاجة إلى سفك الدماء، لكن أشقاهم «أبا جهل» خالفهم الرأي، وانبعث يحرضهم على الخروج، ويمنيهم ويعدهم، وما يعدهم إلا غروراً، حتى أقنعهم بأن هذه فرصتهم للقضاء على المسلمين، وقطع دابرهم، وقد ران على قلبه وعقله ما ينتظره من سوء المصير. وخرج بعض المشركين مكرهين غير راغبين في القتال كالعباس بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ و «أبي العاص بن الربيع » خَتَنِه العزيز.

وأنجز الله موعوده لرسول الله ﷺ فمنح المسلمين أكتاف المشركين، وأولاهم نصراً عزيزاً منقطع القرين، وقتل من المشركين يومئذٍ سبعون، وأُسِرَ مثلهم، وكان بين الأسرى «العباس» و «أبو العاص»، وانقلبت قريش إلى مكة تجر أذيال الخيبة والعار، مخلفة كبار زعمائها وأشهر أبطالها صرعى على أرض بدر، أما أشقاها «أبو جهل» فكانت جثته بلا رأس لأن «عبد الله بن مسعود» احتزَّه وحمله إلى رسول الله ﷺ دليلاً على مصرعه، ورجع المسلمون إلى المدينة بالنصر المبين.

وعلمت «زينب» أن قريشاً ستبعث إلى أبيها، في فداء أسراها، فأخرجت القلادة التي أهدتها إليها أمها «الطاهرة خديجة»، عشية أدخلتها على «أبي العاص» ودستها في الفداء، ولما عرض الفداء على رسول الله ﷺ، ورأى قلادة «خديجة» عرفها، فرقَّ لها رقة شديدة، ولم يأمر أصحابه بشيء يغمطهم شيئاً من حقهم في الفداء، بل قال لهم: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها. وتردوا عليها الذي لها، فافعلوا»[1]. فما كان جواب أصحابه إلا

---

(1) الإصابة (8/ 91).

أن قالوا: نعم، يا رسول الله! ثم أطلقوا «أبا العاص» وردوا لزينب الفداء الذي لها. وقبل أن ينطلق «أبو العاص» عائداً إلى مكة، أخذ عليه رسول الله ﷺ العهد بتسريح «زينب» إليه، لأن الإسلام فَرَّق بينهما ولم تعد تحلُّ له، ما بقي مشركاً، وأعطى «أبو العاص» رسول الله ﷺ ميثاقه على ذلك، ووفى له بما وعد، وكيف لا يفي من كان الوفاء أبرز شيمه ومناقبه؟. وهو الذي يقول:

إني امرؤ مني الوفاء سجية وفعال كل مهذب مفضال

كان «أبو العاص» قد جُبِلَ على الوفاء، ومن جُبِلَ على شيء فإن سلخه عنه لبعيد المنال، بل هو ضرب من المحال.

وباتت «زينب» ترقب عودة زوجها الحبيب بصبر نافذ، وتزينت وتهيأت لاستقباله، ولما دخل عليها خفَّت إليه، وأقبلت لتعانقه، ولم يكن شوقه إليها أقل من شوقها إليه، لكنه ذكر ما قاله له رسول الله ﷺ، وما تعاهدا عليه، فإذا هو يُنَحِّي الحبيبة الأثيرة عنه، وقبل أن تسأل عما يدعوه إلى مثل هذا التصرف الغريب سبقها إلى القول: لقد فرَّق الإسلام بيننا، ومن أحرى من ابنة رسول الله ﷺ بالتسليم لمشيئة الله وطاعته، وطاعة رسوله ﷺ؟ ومن كان يستطيع منع حبات الجمان من أن تتحدر من عينيها الجميلتين؟ وأمر «أبو العاص» أخاه «كنانة بن الربيع» أن يحمل «زينب» إلى أبيها، ولما انطلقا على طريق الهجرة، هرع في طلبهما بعض سفهاء قريش، وكان السفيهان «هَبَّار بن الأسود» و «نافع الفهري» أول من وصل إليها، ورَوَّعها «هَبَّار» برمحه، وهي في هودجها، وكانت حاملاً، فسقطت، وأصابها نزيف حاد لم تلبث أن أجهضت على أثره. ثم نَثَل «كنانة» كنانته، وأخذ سهماً منها، فوضعه في كبد قوسه، ثم قال لهما: لا يدنو أحد منكما إلَّا اخترق سهمي جسده، ولم يجد الرجلان بداً من الانصراف.

ولما رأى «كنانة» الجَهْد الذي أخذ من «زينب» قرر العودة بها إلى زوجها حتى تبرأ وتسترد عافيتها. وأقبل عليه «أبو سفيان» وقال له: إنك لم تحسن

التصرف، لقد خرجت بها علانية على رؤوس الأشهاد، فيظن الناس أن خروجها هكذا إنما هو لضعف حَلَّ بنا، ووهن أصابنا، ولعمري! ما لنا في حبسها عن أبيها حاجة، وما فيها لنا من ثأرٍ نثأره، فارجع بها اليوم، فإذا علم الناس أننا رددناها، فسُلَّها في الغد خفية، وألحقها بأبيها، وبذلك نجتنب نحن وأنت الحرج. واستجاب «كنانة» لقول «أبي سفيان»، فرجع بها إلى مكة.

وبعد عدة أيام، تحسنت صحة «زينب» فخرج بها «كنانة» حق إذا بلَّغا بطن يأجج، كان «زيد بن حارثة» ورجل من الأنصار ينتظرانها، حتى إذا التقيا بها أخبرهما «كنانة» بما صنع «هَبَّار» وصاحبه، ولما أسلماها إلى أبيها أخبراه بما كان من سفيهي قريش فأمر بإحراقهما ثم قال لهما رسول الله ﷺ بعد أن أمر بإحراقهما: (إذا لقيتموهما فاقتلوهما ، فإنه لا ينبغي لأحد أن يعذِّب بعذاب الله) . ووصلت «زينب» إلى الصدر الحنون والقلب الرحيم، فقرَّت عينها ونعم بالها، وراحت تتذكر ما كان يغدقه عليها من العطف والحنان، وأنست بأختيها «أم كلثوم» و «فاطمة» وأحزنها الرحيل المبكر لشقيقتها «رقية»، ولكنها مشيئة الله، وامتدت أيام فراق «زينب» رضي الله عنها لزوجها «أبي العاص» ست سنوات، لم يستطع خلالها أي منهما أن ينسى صاحبه.

والعود أحمد: وبينما كان «أبو العاص» عائداً بتجارته من بلاد الشام. لقيته سرية من المسلمين أميرها «زيد بن حارثة» رضي الله عنه ، وحاصر «زيد» ورجاله قافلة «أبي العاص» فاستأسر رجاله، وسَلَّموا كل ما بأيديهم من الأموال والمتاع لأصحاب «زيد» ولكن «أبا العاص» أفْلت منهم، وأعجزهم هرباً، وعاد «زيد» وصحبه بالغنائم إلى رسول الله ﷺ في المدينة.

وتسلل «أبو العاص» ليلاً فدخل المدينة، ثم أتى مسكن «زينب» واستجار بها فأجارته ، وطلب منها أن تسأل أباها ليرد عليه ما كان يحمل من أموال الناس، فوعدته خيراً.

وفيما كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس الفجر، قطع سكون الليل صوت مُدَوٍّ مُنْبعث من صُفَّة النساء، إنه صوت «زينب» وهي تقول: أيها الناس! إني قد أجرت «أبا العاص بن الربيع». ولما سلَّم النبي ﷺ من صلاته، قال: (أيها الناس! هل سمعتم ما سمعت؟) قالوا: نعم، قال: (فوالذي نفسي بيده! ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم، المؤمنون يد على من سواهم، يجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا من أجارت).

ولما دخل رسول الله ﷺ على ابنته «زينب» سألته أن يرد على «أبي العاص» المال الذي أصابته السرية، فقال لها: (أي بنية! أكرمي مثواه، ولا يخلصَنَّ إليك، فإنك لا تحلين له)، لأن نكاح المؤمنات حرام على المشركين، ثم خرج رسول الله ﷺ وبعث إلى «زيد» وأصحاب السرية، ثم قال لهم: (إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم، فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به)، فقالوا جميعاً: بل نرده عليه يا رسول الله! فردوا عليه كل شيء حتى جيء بالحبل والإداوة والقربة البالية.

وانطلق «أبو العاص» بالمال والمتاع إلى مكة، حتى إذا وصلها أتاه كل من كان له في القافلة نصيب، فأدى إلى كل ذي حق حقه، ثم نادى فيهم: يا معشر قريش! هل بقي لأحد منكم معي مال لم أرده عليه؟ قالوا: لا، جزاك الله خيراً، قد وجدناك وفياً كريماً. وقطع على الناس نشوتهم بعودة أموالهم إليهم صوت «أبي العاص» يقول: أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. ولما سألوه: لماذا لم تسلم وأنت عندهم في المدينة؟ قال: والله، يا معشر قريش، ما منعني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلا مخافة أن تظنوا بي أني إنما أسلمت لأذهب بأموالكم، فلما أداها الله إليكم، وفرغت، أسلمت. وما كان أسعد من «زينب» بإسلام زوجها، فقد كانت تثق بأنَّ له عقلاً وفكراً لن يسلماه إلَّا إلى الخير، وها هي ذي دعوتها قد أجيبت ولم تذهب أدراج الرياح، ورد النبي ﷺ لأبي العاص «زينب»

بالنكاح الأول، لم يُحْدِثْ صَدَاقاً، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: بنكاح جديد ومهر جديد، والله أعلم.

وأنجبت «زينب» لأبي العاص، ولداً اسمياه «علياً» وبنتاً سمياها «أمامة». تزوجها «علي بن أبي طالب» بعد وفاة «الزهراء» رضي الله عنها. وعادت السعادة بظلالها على أسرة «أبي العاص» بعد أن اجتمع شملها من جديد، ولكن إلى حين ليس ببعيد.

وفاتها: إن الدماء الغزيرة التي نزفتها «زينب» بعد أن أجهضت من جراء سقوطها عن البعير، ألقتها بين براثن المرض، واعتراها الهزال، وفي سنة ثمان للهجرة لقيت وجه ربها، وكانوا يرون أنها شهيدة، ونزل النبي ﷺ في قبرها ليخفف الله عنها ضيق القبر وغمه.

رحمها الله تعالى.

السيدة سُبَيْعَة بنت الحارث رضي الله عنها

أخرج ابن الأثير في «أسد الغابة»، قال:

[«سبيعة بنت الحارث الأسلمية»، كانت امرأة «سعد بن خولة» فتوفي عنها بمكة في حجة الوداع، وهي حامل، فوضعت بعد وفاة زوجها بليال، قيل: شهر، وقيل: خمس وعشرون، وقيل: أقل من ذلك، أخبرنا أبو الحرم«مكي بن ربَّان النحوي» بإسناده عن يحيى بن يحيى، عن مالك بن أنس، عن عبد ربه بن سعيد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن أنه قال: سئل «عبد الله بن عباس» و «أبو هريرة» عن المرأة الحامل يتوفى عنها زوجها، فقال «ابن عباس»: آخر الأجلين، وقال «أبو هريرة»: إذا ولدت فقد حلَّت، فدخل «أبو سلمة بن عبد الرحمٰن» على «أم سلمة» زوج النبي ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت «أم سلمة»: ولدت «سبيعة الأسلمية» بعد وفاة زوجها بنصف شهر، فخطبها رجلان أحدهما شاب، والآخر كهل، فحطَّت -